المهمة الأولى

في البدء كنت صغيرة. ليس لك طعام إلا حليب أمك، وتعددت آلهتك. لعلك عشت في موضع كأنه صحراء، لكنك لست على يقين. مضى زمن طويل على ذلك، وذكراه عندك ضبابية. ثم تنزلت الأمطار تباعا، وصدرت عن العالم رائحة سمك عفن. لعبت حول المنزل وعاونت الملك في قطع خشب الأرز ليشيد قصره. رسمت خالتك بضع رموز على حجر، وأسمتها أبجدية. ثم قضى عليك خنزير بري عندما خرجت إلى الوادي للصيد (أم هل كان ذلك رجلك؟)، ثم بلغتك أنباء عن رجل على مبعدة بضع قبائل يدخل المعبد ويقلب موائد الصيارفة. لم يرق لك في البداية أن تتعلمي العربية تعليما إجباريا، لكنك اعتدتها رويدا رويدا. بل تعلمت حبها. قرضت الشعر وحصدت جوز الصنوبر وشاهدت خلافة في إثر أخرى تصعد وتسقط من حولك، بينما صبئت أنت من جديد. عزمت على البقاء في الجبال والاحتماء. لم يمر الأمر بسلام تام، فقد وقعت مذبحة، ثم أمر عثماني بأن تخدمي في سفر برلك، وفجأة صار لديك جواز سفر. سمعت عن مخيّم فنّي سياسي تقني للشباب يقام بالقرب منك، وقررت المشاركة به، لأن العالم لم يسبق له أن أشعرك بالإثارة والرعب كما يشعرك الآن.

تصلين إلى موقع المخيم، وهو قصر من الحجر الأبيض. يقول الحجر الذي يعلو فتحة الباب "بني في ١٩٠١". تنظرين حولك وترين جبلا عتيقا، لعله الجبل نفسه الذي نشأت عنده طفلةً. غابة أرز تغطيه، وقد حفروا في صلبه مخابئ لدبابات الحزب الاشتراكي التقدمي أيام الحرب الأهلية (أم هل كانت للكتائب؟). تلتقين بمخيِّمة آخر، ثم بالخمسين ونيف منهن عن بكرة أبيهن، ومع كل حوار يدور معك تراودك فكرة أخرى لمشروع، ويُكتب لأفكار مشاريع قديمة لم تبدأيها قط حياة جديدة. من زاوية عينك، تلمحين ظل شبح يسير نحو المطبخ. يفيض عقلك وتبدأ الأفكار في التساقط من أذنيك، ولما يمر اليوم الأول. تسمعين ببعض الألعاب التي يجري تصميمها وتكوينها. وتلمين في إحدى الورشات بنظرية الألعاب ثم تلعبين لعبة أطفال اسمها الدبّابة. تكتشفين طرقا أخرى لإجراء بحث، بل وربما تعيدين تعريف ما يعنيه البحث حقًا. ثم تستنطقين الأرض لتبوح لك بما تيسر من ماضيها ومستقبلها.

ومن ثم ستلعبين أكثر. فكيف لك أن تصممي لعبة وتبنيها دون الكثير من اللعب؟ ستسألين من هم الفائزون، ومن هم المهزومون؟ (أم هل هم منهزمون؟) وما يملأ المساحة بينهما؟ وكيف بإمكان أي صراع أن يصبح لعبة؟ ستلعبين ألعابا كثيرة، بعضها مادي وبعضها رقمي. ستشاهدين العديد من الأفلام، وستقومين بتدريبات كتابة، وربّما ستتعلّمين البرمجة. ستناقشين أطوال لحى ملوك الطوائف وألوان أوسمة العسكريّين حتّى تفاجئك الشمس بشروقها. ستديرين اللعبة التي اقترحتيها، بعد أن ساعدك القيمون على تطويرها. وفي ختام المخيم، سننسج ألعابنا وأفكارنا في عالم افتراضي جامع، هو نتاج للأيام العشرة المنصرمة، ولحيوات كثيرة.